الأطروحـــــــةُ المهدويّـــــــة
بين مقولات الاستشراق والنُّصوص القرآنية

◆ أ. قاسم شعيب[1]

■ **خلاصة**

لم يُهمل المُستشرقون البحث في مسألة المهدوية، بل درسوها من زوايا منهجية مختلفة تاريخانيّة وأنثروبولوجية وإيديولوجية، وانتهوا إلى إنكارها واعتبارها عقيدة دخيلة على الإسلام، واردة من الديانات السابقة، تمامًا كما هو موقفهم من مُعتقدات وتعاليم إسلامية أخرى، دون أن يكون لذلك أيّ أساسٍ علمي، ودون اعتبار للنصوص التأسيسية المتواترة في شأن هذه المعتقدات.

في هذا البحث، سيتمّ استعراض مواقف عدد من المستشرقين(من اليهود والنّصارى) من الأطروحة المهدوية، في عنوانين مستقلين، ومناقشتها. ثم البحث في أصالتها القرآنية، من خلال عنوان ثالث يستعرض مجموعة من الآيات، المفسرة ومُؤوَّلة في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، احتضنتها الموسوعات التفسيرية، لدى كلٍّ من أهل السُّنة والشيعة على السّواء.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم – المهدوية - الاستشراق- الشيعة – أهل السُّنة.

1 - باحث في الفلسفة والإسلاميات - تونس

مُقدّمة

يعكس البحث في مفهوم المهدوية في الإسلام الاهتمام بالمستقبل، من أجل استكشاف إمكانات خُروج الإنسانية من مآزقها المعرفية والقيمية والحضارية التي تتخبط فيها. وهو يُقابل البحث في فكرة الخلاص في الديانات الأخرى. وتحقيق هذا الهدف لن يحدث بالقطيعة مع الماضي، الذي لا يُمكن الانفصال عنه في أي عملية بناء حضاري جديد.

وكما هو معلوم فالمهدوية أطروحة إسلامية تتّصل بظهور شخصية استثنائية في نهاية الزمان، لتُنقذ العالم وتخلِّص البشرية من الفساد والظلم والحروب والشرور التي ستعمّ، وتطبيق العدالة بين الناس، وصولا إلى تحقيق أهداف رسالات الأنبياء، بالإضافة إلى نشر السلام والحرية والرخاء العام في العالم.

لكن عددًا من المستشرقين الذين تناولوا مسألة المهدوية حاولوا إنكار أصالتها الإسلامية، من خلال إهمال النُّصوص الخاصّة بها، والادّعاء بأنها فكرة أو عقيدة يهودية ومسيحية أدخلها الشيعة إلى الإسلام بسبب مُعاناتهم من بطش الأمويين وبحثهم عن الخلاص. وهذا ما تطلّب منّا عرض مواقفهم ومناقشتها. ثم تقديم الأدلة القرآنية على أصالتها وتجذُّرها في العقيدة الإسلامية، لأنّ القرآن هو النّص المركزي الأول الذي تحتاج المعتقدات الدينية - الإسلامية إثبات نفسها من خلاله.

1 - الاستشراق والأطروحة المهدوية

يُشير مفهوم الاستشراق إلى الدراسات الغربية في المجالات الثقافية والتاريخية والسياسية

في المنطقة العربية والعالم الإسلامي. فهو، كما وُصف، "علم بالشرق"، تأسّس في البداية في بريطانيا لفهم مُعتقدات الشرق وثقافاته، إبان التمدّد الاستعماري في بلاد الشرق.[1]

بدأ الاستشراق في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وفي القرن السابع عشر أصبحت لندن وباريس أهم المراكز لدراسة الشرق، قبل أن تظهر معاهد متخصصة في هذا النوع من المعرفة. والاستشراق هو نفسه الثقافة الغربية في نظرتها للثقافات الشرقية. وهي نظرة نمطية، غالبًا ما تفشل في إدراك عُمق الثقافة الإسلامية التي لم يستطع المستشرقون قراءتها إلا من خلال خلفياتهم الدينية والمذاهب والإيديولوجيات التي يتبعونها.

ومن أشهر هذه المواقف مثلا، موقف المستشرق الألماني مراد هوفمان(1931-2020م)، الذي يقول في وصف الشيعة: "الشيعة متاهات الأسرار وسراديب الغيب التي يمتلك مفاتيحها سدنة وكهنة ضالُّون مُضللون، صفوة ذات وصاية مترسبة عن نماذج قبلية يستبد في الحكم فيها الزعيم والشيخ العظيم، بينما السُّنة عكس ذلك"[2]. بينما يقول غولد تسيهر(1850م - 1921م): "الشيعي الحاضر لا يقلّ عن الشّيعي السّاذج في الشعور بالحنق والسخط على الأمويين"[3].

ومن الواضح أنّ هذه الأحكام لا تنطلق من أُسس موضوعية بقدر ما تعكس مسبقات دينية وثقافية. فـ هوفمان مستشرق مسيحي قال إنّه تحوّل إلى الإسلام واعتنق المذهب السُّني. وغولد تسيهر مستشرق يهودي. وكلاهما لا يُمكنه إلا إطلاق أحكام سلبية تُجاه الشيعة. وهي أحكام ستتكرر في مواقفهم من عقيدة المهدوية.

أ- المهدوية في الاستشراق اليهودي

تتّفق الدراسات الاستشراقية اليهوديّة حول إنكار العقيدة المهدويّة وأصالتها في الإسلام، لكنهم ينقسمون في تفسير ظهورها إلى تيارين:

1 - زقزوق، محمود، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة: دار المعارف، د. ت، ص20 .
2 - هوفمان، الإسلام كبديل، ص134.
3 - غولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص180.

التيار الأول: يعتبر الفكرة المهدوية واردة من الديانات السابقة. ويقول أصحابه: "إنّ المهدويّة الإسلاميّة خرافة، وأنّ أصلها ومنبعها التراث الديني اليهودي"[1]، وهذه دراسات أيديولوجية وغير علمية، فهي تُكرر الأفكار ذاتها بأساليب متنوعة.

يقول المستشرق اليهودي جيمس دارمستيتير (1894 - 1849م) James Darmesteter في كتابه "المهدي الماضي والحاضر"[2]، إنّ فكرة المنقذ والمخلّص موجودة قبل الإسلام عند ديانات سابقة، وقد أخذ المسلمون الفكرة من الديانات الثلاثة: اليهوديّة والمسيحيّة والزرادشتيّة، وهذا يعني أن عقيدة المهدويّة في الإسلام ليست أصيلة. وقد أكّد هذا الزعم المستشرق فيليب هيتي (1886-1978) في بحثه عن "المهدي" الذي كتبه في دائرة المعارف الكاثوليكيّة الأمريكيّة، إذ يقول: "إنّ المهدي عند الشيعة ما هو إلا انعكاس للمعتقد اليهودي والمسيحي"[3].

لكن فكرة الخلاص أو المهدوية تُعتبر سابقة أيضًا على اليهودية، حيث نجدها في الديانات الشرقية القديمة. فالبرهمانية التي تعتبر أم الديانات الوثنية، تعتقد بظهور مُخلص في نهاية الزمان، بعد أن يعمّ الفساد والظلم الأرض. وهذا المخلص هو كريشنا الذي ينزل في صورة بشرية ليُخلِّص الأرض من الظالمين وينشر العدل بين الناس.. فهو بطل ملحمة المها بهارتا. ولذلك يصف الهندوس كريشنا بأنه الفادي، والمُعزّي، والراعي الصالح، والوسيط، وابن الله الذي ولد من العذراء ديفاكي.

وإذا كان الأمر كذلك، فعلى المستشرقين جيمس دارمستيتير وفيليب هيتي أن يُفسِّرا لنا هذا التشابه بين المُعتقد البرهماني والمعتقد اليهودي والمسيحي بخصوص ظهور مخلص في آخر الزمان، ولماذا لا يقولان: إنّ اليهودية والمسيحية هما كذلك نقلا معتقدات برهمانية؟ بل إنّ المستشرق المسيحي مُطالب بتفسير هذا التطابق العجيب بين كريشنا والمسيح في اعتبار كل منهما مُخلِّصا ينزل من السماء، وأنه الأقنوم الثاني في ثالوث اللاهوت المُقدس وابن الإله من امرأة عذراء!؟

1 - The Mahdi Past and Present, P1115-.

2 - Ibid, P11- 15.

3 - Al-Mahdi, in New Catholic Encyclopedia, Volume 9, P48.

والحقيقة إنّ فكرة الخلاص والمهدوية كانت حاضرة في كل الرسالات النبوية منذ آدم وإبراهيم عليهما السلام. فقد كان الوحي يخبرهم بأحداث المستقبل، ويُعرفهم على الأنبياء والأوصياء الذين سيأتون من بعدهم. ومن الطبيعي أن تتسرب تلك الأخبار إلى الوثنيين ويدخلونها في معتقداتهم بعد التلاعب بها. وهذا الأمر يتأكد في شأن النبي الخاتم وأوصيائه، وصولا إلى خاتم الأوصياء(المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وهذا ما تُشير إليه الآية الكريمة: ﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[البقرة:37]. عن "المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ..**﴾[البقرة: 124]، ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال: "يا ربِّ أسألك بحقّ محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تُبت عليّ، فتابَ الله عليه، إنه هو التّواب الرحيم، فقلت له: يا ابن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله: ﴿**أَتَمَّهُنَّ**﴾؟ قال: يعني أتمهن إلى القائم عليه السلام، اثْنا عشر إمامًا"، تسعة من وُلد الحسين عليه السلام. قال المُفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ..**﴾[الزخرف:28] ؟ قال: يعني بذلك الإمامة، جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة"[1].

ولم يتوقف المستشرق جيمس مستيتير في كتابه "المهدي الماضي والحاضر" عند ذلك، بل ادّعى إلى أنّ النّبي لم يخلف أبناء ذكورًا[2]. فالمهدي ليس من وُلده. وهذا الموقف يرفضه كل المسلمين، سُنّة وشيعة، حيث إنهم مُتفقون على أنّ المهدي من عترة النبي صلى الله عليه وآله. فليس المهدي حفيد النبي من وَلد ذَكر له، بل هو حفيده من ابنته فاطمة عليها السلام. ومن المؤكّد دخول البنات وأولادهن في ذرّية الرجل. فهم أسباط وأحفاد بلا شك.

وقد سمّى النبي صلى الله عليه وآله الحسين عليه السلام سبطا من الأسباط، لأنّ السّبط هو الحفيد من البِنت (أو الابن)، والذي يُمثل الامتداد المادي والمعنوي للرجل. فالفعل سَبُط تعني طال واسترسل. والإمام

1 - الصدوق، معاني الأخبار، ص305.

2 -James Darmesteter, The Mahdi Past and Present, P16.

الحسين عليه السلام يُمثل امتدادا للنبي صلى الله عليه وآله، فهو جده. وفي آية المباهلة قال تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾[آل عمران: 61]، فجاء بالحسن والحسين، مع علي وفاطمة(عليهم السلام). والمهدي عليه السلام هو آخر العنقود في سلسلة الأئمة التسعة من ذرية الحسين عليه السلام، فالرسول صلى الله عليه وآله جدّه كما هو جدّ الحسين عليه السلام.

وإنكار أن يكون المهدي عليه السلام من ذرية النبي صلى الله عليه وآله، يُساوق إنكار أن يكون المسيح من ذرية إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لأنّ المسيح إنّما ينتسب لإبراهيم ويعقوب من جهة أمّه مريم عليها السلام، وهي أيضًا حفيدة لسليمان بن داوود[1]. وهذا في الحقيقة ما فعله اليهود مع المسيح الذي اتهموه بمختلف التُّهم، وانكروا انتسابه ليعقوب وداوود، ثم حاولوا قتله.

ويدّعي المستشرق مستيتير أنّ المهدوية لم تتحقّق في كل البلاد الإسلامية، مما يطرح شكوكًا حول نبوة محمد صلى الله عليه وآله وصدقه[2]. وهذا الكلام قد يصح، لو كان النبي صلى الله عليه وآله قد حدّد وقتًا مُعيَّنا لظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، بينما هو في الحقيقة لم يحدد أي وقت. ولا يُمكن القول - تبعا لذلك- إنّ نبوته أصبحت محلّ شكٍّ. وحتى لو كنا في آخر الزمان الذي يظهر فيه الإمام، فإنّ آخر الزمان هذا لم ينته، لأنّه إنما ينتهي بحرب عُظمى، وتحقُّق سائر العلامات[3].

وقد لجأ المستشرق فيليب هيتي في بحثه عن "المهدي" إلى رواية ضعيفة ومصنوعة لتبرير هذا الإنكار، إذ يقول: "هناك رواية تُشير إلى كون عيسى عليه السلام هو المهدي نفسه"[4]، بينما يسقط

---

1 - في الآية الكريمة: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ**﴾ [الأنعام: 83-85]. فنسب عيسى إلى داوود من جهة أمه.

2 -The Mahdi Past and Present: Translator's Preface – Ada S. Ballin, Page 4.

3 - روى البخاري، (حديث: 7121)، عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة». وفي "الغيبة" للطوسي، ج1، ص361: عن الإمام الصادق عليه السلام «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس، فقلنا إذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقى؟ فقال: أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي».

4 - هيتي، فيليب، دائرة المعارف الكاثوليكيّة الأمريكيّة – لفظة (المهدي)، المجلّد 9، ص48.

المستشرق رونلدسن في فخ الاستهزاء بعقيدة المهدوية من خلال قصّة السرداب، كما في كتابه "عقيدة الشيعة"[1]، بينما تُوجد نصوص كثيرة تؤكد اختفاء الإمام المهدي عليه السلام، وهو لا يزال صبيًّا، في هذا المكان أثناء ملاحقة جنود العباسيين له.

إنّ خبر "لا مهدي إلّا عيسى ابن مريم"[2]، خبر أحاد ضعيف السّند، وهو لا يصمد أمام الروايات الصحيحة والمتواترة عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف لدى جميع الفرق الإسلامية. فالمهدي عجل الله فرجه الشريف من عترة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من ولد فاطمة، كما تقول الروايات المتواترة، عند السُّنة والشيعة، ومنها: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[3].

التّيار الثاني: يدّعي أنّ فكرة المهدوية لا أساس لها في الأديان، وهي ليست وحيًّا، بل هي انعكاس لواقع نفسي واجتماعي تعرض له الشيعة في التاريخ. فقد قال المستشرق دوايت رونلدسن في كتابه "عقيدة الشيعة": إنّ "الإخفاق الذي أصاب الحكومة الأمويّة في توطيد أركان العدل، هو المنشأ لظهور فكرة المهدي"[4]، وزعم رونلدسن "أنّ روايات المهدي موضوعة في عصر ما قبل تدوين السنّة النبويّة، وإنّ الكتب الروائيّة السُنّية قد خلت من هذه الروايات، و"إنّ سرّ وضع الحديث عند الشيعة، هو أنّ القرآن لم يذكر الإمام فاستغلّوا السُّنّة لذلك"[5].

وقد أكّد على الفكرة نفسها المستشرق إغناس غولدتسيهر، في كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام" إذ يقول: "لا بدّ من تأسيس فكرة الآمال الصامتة لتهدئة روع الناس، ومن أجلى مظاهر فكرة الآمال الصامتة مسألة المهدي"[6]، وكذلك المستشرق فان فلوتن في كتابه "السيادة العربيّة" إذ قال: "ولا يفوتنا أن نذكر أوّلاً أنّ ذلك المثل الأعلى للعدالة والمساواة قد ظلّ وهمًا من الأوهام،

1 - دونالدسن، عقيدة الشيعة، ص247 و248.
2 - ابن ماجه، السنن، ج2، ص340، ح: 4039، وقد ضعّف علماء الجرح من أهل السنة هذا الحديث الغريب، وقدحوا في أحد رواته(محمّد بن خالد الجندي).
3 - أبو داود، سنن أبي داود، ح: 4284، وابن ماجه، سنن ابن ماجة، ح: 4086، الألباني، صحيح الجامع، ح:6734.
4 - دونالدسن، عقيدة الشيعة، ص231.
5 - دونالدسن، عقيدة الشيعة، ص231.
6 - غولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص85.

حتّى إنّ حاجة الشرقيّين اليوم إلى مهدي يملأ الأرض عدلاً لم تكن أقلّ منها في عهد بني أميّة، ولم يكن جَوْر النظام العباسي وعسفه منذ قيام الدولة العباسيّة بأقلّ من النظام الأموي المختلّ، فحفّز النفوس إلى التمسّك بعقيدة المهدي والتطلّع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره"[1].

وفي مرحلة متأخرة اشتهر اليهودي الأمريكي (برنارد لويس) (1916-2018م) Bernard Lewis، باعتباره أحد المستشرقين الصهاينة الكبار الذين درسوا الحركات الدينية وتأثير مفهوم المهدي على تلك الحركات التي وُصفت بالثورية والسياسية.

كان لويس بدوره يُنكر أصالة المسألة المهدوية في الإسلام ويبحث عن تبريرها من خلال السياقات التاريخية والسياسية. وقد رأى أنّ هذه الفكرة كانت تُستخدم في كثير من الأحيان كوسيلة لتوحيد ودعم الحركات السياسية والاجتماعية، خاصة خلال فترات الاضطراب والأزمات. وفي أحيان أخرى كانت تُستخدم لتحقيق أهداف خاصة بالزعماء الدينيين والسياسيين، أو لتبرير الثورات أو حركات التمرُّد. وقد كتب يقول: "اجتذبت أشكال التشيُّع المتطرفة التي لا تقبل التوفيق، المَوالي من الفُرس وغير الفُرس، فأدخل هؤلاء فيها الكثير من الأفكار الدينية الجديدة التي استقوها من معتقداتهم المسيحية واليهودية والفارسية الأولى.

وربّما كان تصوّر المهدي (أي المهدي إلى سواء السّبيل)، هو أهم هذه الأفكار الدينية الجديدة. وكان المهدي في أول الأمر زعيما سياسيًّا فحسب، ولكنه سرعان ما أصبح داعية دينيًّا مُنقذًا. ونرى أول مظهر مميز لهذا المذهب في ثورة المختار، الذي نظّم في سنة 685-687 م ثورة في الكوفة باسم محمد بن الحنفية"[2].

إنّ عقيدة المهدي لو كانت فكرة شيعية محضة، لما وجدنا لها أثرًا في كُتب أهل السُّنة ومُدوناتهم، رغم أنهم يقدّسون مُؤسس الدولة الأموية الذي يعرف الجميع موقفه من الإمام علي وشيعته. فكُتب الحديث والتفسير السُّنية تضم أخبارًا متراوحة بين الصحيح والحسن والموثق

1 - فلوتن، السيادة العربيّة والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ص132.
2 - لويس، برنارد العرب في التاريخ، ص. ص.100-101.

وغير ذلك، عن الإمام المهدي(عليه السلام)، فاقت الأربعمئة حديث، تتحدث عن خروج الإمام ونشره العدل. ومن هذه الأحاديث أربعون حديثًا مروية بطرق متعددة. وهذا كلّه يجعل المسألة في دائرة التواتر.

لقد صدرت هذه الأحاديث عن الرسول (صلى الله عليه وآله) بينما لم يكن هناك وجود للحكم الأموي، ولا ممارساته القمعية ضد الشيعة وأئمتهم. وهي تتحدث عن ظهور المهدي(عليه السلام) في آخر الزمان، وتجعله من المحتوم.

ومن المحال أن تكون كل تلك الأحاديث - على كثرتها - كلها موضوعة، خاصة وأن السلطة التي انتقلت بعد الرسول إلى قريش والأمويين كانت معادية لأهل البيت (عليهم السلام) وعقيدة المهدي من الأساس. وهذا يعني أنّ الأحاديث حول المهدي(عليه السلام) أكثر من ذلك بكثير، ورغم محاربتها إلا أنها وصلت إلى الناس جيلا بعد جيل. إننا نجد مثلاً في موسوعة "معجم أحاديث الإمام المهدي(عجل الله فرجه الشريف)" ما مجموعه 1861 حديثًا متعلّقة بالمهدي(عليه السلام)، استخرجت من مصادر مختلفة. ولذلك، فإنّ القول: إنّ فكرة المهدي خرافة من صنع خيال الشيعة، هو في الحقيقة إغماض للعين عن الحقيقة.

كما يُوجد اتفاق بين الشيعة وأهل السُّنة على وجود المهدي(عجل الله فرجه الشريف) وتُحمّله مهمة إنقاذ المسلمين والعالم كله من الظّلم والجَوْر. وقد اعترف ابن خلدون (1332-1406م) بأن بعض الأحاديث الخاصة بالمهدي(عجل الله فرجه الشريف)، لدى أهل السُّنة صحيحة. وقال شيخ الأزهر الاسبق محمد خضر حسين (1876 - 1958م) ردّا على ابن خلدون: "ونحن نقول: متى ثبت حديث واحد من هذه الأحاديث، وسَلِم من النقد، كفى في العلم بما تضمنه من ظهور رجل في آخر الزمان يسوس الناس بالشرع، ويحكمهم بالعدل، إذ أريناك أنّ مسألة المهدي لم تكن من قبيل العقائد التي لا تثبت إلا بالأدلة القاطعة..

والصحابة الذين رُويت من طرقهم أحاديث المهدي نحو 27 صحابيًّا.. منهم: أبو سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأم سلمة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعمار بن ياسر، والعباس بن عبد

المطلب، وتميم الداري، وابن عباس.. والواقع أنّ أحاديث المهدي بعد تنقيتها من الموضوع، والضعيف القريب منه، فإنّ الباقي منها لا يستطيع العالم الباحث على بصيرة أن يصرف عنه نظره، كما يصرفه عن الأحاديث الموضوعة..

وقد صرّح الشوكاني، بأنّ هذه الأحاديث بلغت مبلغ التواتر، فقال: "والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها، منها خمسون، فيها الصّحيح والحسن والضعيف المُنجبر، وهي متواترة بلا شك، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول.. وأضاف: يقول بعض المنكرين لأحاديث المهدي جملة: إنّ هذه الأحاديث من وضع الشيعة لا محالة. ويرد هذا، بأن هذه الأحاديث مروية بأسانيدها، ومنها ما تقصّينا رجال سنده، فوجدناهم ممن عُرفوا بالعدالة والضبط، ولم يتّهمهم أحد من رجال التعديل والتجريح بتشيُّع، مع شهرة نقدهم للرجال".[1]

ب- المهدوية في الاستشراق المسيحي

ركّز المُستشرقون المسيحيون على دراسة النصوص الإسلامية مثل القرآن والأحاديث، بالإضافة إلى النصوص التاريخية والأدبية، لفهم الأصول والتطورات المتعلقة بمفهوم المهدوية. وتناولوا قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف من عدَّة جوانب، منها: مسألة وجوده من عدمها، والأساس الذي بُنيت عليه القضية المهدوية، كما ناقشوا مسألة ولادته والظرف السياسي الذي رافق ذلك. وتحدثوا عن الغيبتين الصغرى والكبرى وعن السفراء الأربعة والأدوار التي أُوكلت إليهم.

أوّلا: ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

كان التشكيك والإنكار سيِّدا الموقف لدى عموم المستشرقين المسيحيين، الذين كرّسوا جهودهم لنفي وجود الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف دون الاستناد إلى أدلة، فالمستشرق رودولف شتروثمان

1 - موسوعة الأعمال الكاملة، ج1، الصفحات: 168--169 170.

(1877-1960م) Strothman مثلا، قال: "من المشكوك فيه كل الشك أنَّ الحَسن الخالص، وهو الإمام الحادي عشر، قد خَلَّفَ ولداً على الإطلاق لما مات عام 260هـ - 873م، لكن ساد بين الشيعة الإمامية الاعتقاد بوجود ابن له هو محمد حجة الله[1]. فهو يستبعد تماماً ولادته، أو أن يكون للإمام العسكري ولد، ووجوده عنده ليس إلّا اعتقاداً لدى الشيعة الاثني عشرية.

ويذهب المستشرق الألماني (إسرائيل فردناند) (1876-1920م) Isr.Friedländer في الاتجاه نفسه، ويتحدث عن ولادة أسطورية وذات إشكالية كبيرة، مدعيا أنها حدثت في اليوم نفسه الذي توفي فيه والده الإمام الحسن العسكري عام 260هـ[2].

ومن جهته، أنكر (هاينز هالم) (؟ -1942م) Heinze Halm ولادة الإمام[3]. وهو يعتمد في ذلك نصوصًا سُنّية، بما أن الاستشراق عامة يتبنّى الاتجاه السُّني ليُهاجم المعتقدات الشيعية من خلالها، لكنه يقع بذلك - من ناحية أخرى-، في إنكار مسلمات وحقائق إسلامية تُؤكدها نُصوص صحيحة لدى الفريقين. وهذا المستشرق، عندما يقول إنّ ذلك من اختراعات رواة الشيعة الأوائل، يذكر رواية أوردها النوبختي (ت310هـ) في كتابه "فرق الشيعة"، مفادها أنَّ الإمام العسكري عليه السلام مات ولم يخلِّف أي ولدٍ يرثه، ولذلك ورثه أخوه جعفر[4]، بينما روى النوبختي ذلك الخبر ولم يتَبنَّه، فقد روى روايات كثيرة أخرى في كتابه عن ولادة الامام المهدي عليه السلام. ولذلك، يُحتمل هنا أن يكون الإمام العسكري قد أخفى خبر ولادة الإمام المهدي عن السلطان العباسي خوفاً عليه من القتل، وسوف يظهر كقائد للمسلمين[5].

وبدوره، يقف المستشرق الألماني (غيرهارد كونسلمان) (1932-2008م) Konzelman في صف المنكرين لولادة الامام. فقد سرد الأحداث التي سبقت الولادة وما جرى على الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام. وسَرد قصة زواج الإمام العسكري من الأميرة البيزنطية. لكنه شكّك في

1 - دائرة المعارف الإسلامية، الشيعة، ج20، ص6422.

2 - Heterodoxies of the Shiites , p13

3 - هالم، هاينس، الشيعة، ص45-47.

4 - النوبختي، فرق الشيعة، ص99.

5 - فرق الشيعة، ص47.

مجمل القصة، وادَّعى أنَّها أسطورة من نسج خيال مؤرِّخي الشيعة، الذين أرادوا منها إقناع الناس بمسار الأحداث التي من شأنها إثبات إمامة محمد بن الحسن الإمام الثاني عشر[1].

وتُورد الكُتب الشيعية التفاصيل الخاصة بولادة الإمام ونسبه[2]، وهي تتضمن الكثير من الروايات الصحيحة[3]. ومن المناسب في هذه الحالة أخذ بعض التفاصيل الخاصة بولادة الإمام من المصادر التي نوّه بها النبي ﷺ في حياته عندما أحال الناس من بعده إلى عترته. ولا جدال بين المؤرخين والرواة حول علم الأئمة الإثني عشر وتقواهم وجلالتهم، والأحرى الأخذ عنهم فيما يقولونه أو يروونه عن رسول الله ﷺ.

بل إنّ هناك مصادر سُنية تتحدث عن ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، عندما تتحدث عن غَيْبته. روى ابن الصباغ المالكي، قال: "وله قبل قيامه غَيْبتان: إحداهما أطول من الأخرى. فأما الأولى فهي القُصرى، فمنذ ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته. وأما الثانية، وهي الطُّولى، فهي التي بعد الأولى. في آخرها يقوم بالسيف. قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[الأنبياء: 105]"[4].

ثانيًا: قصّة المُصاهرة

ادّعى المستشرق كونسلمان أنَّ الشيعة أرادوا إثبات وجود علاقة مصاهرة بين عيسى ومحمد (صلوات الله عليهما)، ليكون ذلك مقدمة لتوحيد أتباع الرسالتين على الدين الصحيح الذي سيظهره المهدي عجل الله فرجه الشريف. وهذه المُصاهرة تُوحي عنده بأنّ المسيح اعترف بعلو الإسلام وأنّ اتّباعه هو السبيل الأصح والأسلم.

1 - غارهارد كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ص107.

2 - الطوسي، الغيبة، ص414. الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج2، ص418.

3 - راجع مثلا: الشيخ علي الكوراني، معجم أحاديث الإمام المهدي، ط1، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم-إيران، 1411 هـ. ق.

4 - ابن الصباغ، الفصول المهمّة في معرفة الأئمة، ص318.

ومن ناحية أخرى، أراد مُؤرخو الشيعة التأكيد على نُبل سلالة النبي محمد ﷺ من خلال مُصاهرة أنبل أسرة مسيحية، ليتمّ التوحيد بين الإسلام والمسيحية، وبذلك يُصبح المهدي مخلّصا لأتباع الديانتين معًا والعالم كله تبعًا لذلك[1]. لقد اعتقد كونسلمان أنّ القصة أسطورة أراد بها المؤرخون الرفع من شأن الإسلام. لكن الحقيقة أنّ النبي وأهل بيته والأئمة ليسوا في حاجة لإثبات شرفهم العائلي من خلال الزواج بأي امرأة مهما كان نسبها وأصلها. فالنُّبل خاصّية عائلة النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) صعودًا إلى إسماعيل وإبراهيم. وهو شيء لا ينكره عربي أو مسلم في تلك العصور. وقد مدح القرآن النبي في خُلقه، وأهل البيت في طهارتهم، ودعا إلى مودّتهم وطاعتهم في آيات كثيرة. لكننا لا ننفي إمكانية أن تكون تلك المُصاهرة من أجل استمالة المسيحيين. كما يُمكن أن تتعلق من جانب آخر بعودة المسيح، ليكُون المساعد للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على هداية النصارى.

ثالثًا: الغَيبة الصُّغرى والسُّفراء الأربعة

كتبَ المستشرقون الألمان عن موضوع الغيبة والسفارة، ومنهم المستشرق شتروثمان الذي اعتمد على العديد المصادر الشيعية. وهو يعتبر غَيبة الإمام اختفاءً غامضًا. ويشكُّ في غيبته كما شك في وجوده من الأساس، رغم اطلاعه على كتب الشيعة، ورغم أنه هو من أشرف على أطروحة الدكتوراه لجواد علي (1907-1987)[2]، في همبورغ سنة 1939، والتي تتحدث عن القضية المهدوية من خلال المصادر الشيعية. لكن من الواضح أنّ جواد علي كان هو المتأثر بهذا المستشرق وليس العكس، فقد كان بدوره يشك في موضوع النيابة وينسب للسفراء الأربعة مصلحة في ادّعائها لأنّ ذلك يجعل لهم وجاهة لدى الشيعة. وهو يتجاهل في هذا المستوى، شهادة الناس الذين رأوْه وتوقيعات الإمام عليه السلام[3]، التي تتضمن إجابات عن أسئلة يصعب على أي سفير امتلاكها.

1 - كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ص. ص. 108 - 109 .

2 - الأطروحة كانت بعنوان: "المهدي المنتظر عند الشيعة الاثنا عشرية".

3 - هناك من ادَّعى البابية لنفسه مثل الشريعي والنصيري وابن بلال وآخرون فجاءت التوقيعات بعدم أحقيتهم. أما السفراء الأربعة فالتوقيعات تُؤكد أحقيتهم. انظر مثلا: الصدوق، إكمال الدين، ص482 و522. والطوسي، الغيبة، ص397 و415.

ونزعة الشك والإنكار تكررت عند المستشرقة الألمانية فيرينا كليم (Verena Klemm 1956م- ؟) وتساءلت عن جدوى الغيبة التي تُثير الشّك لدى الشيعة. وقد اتّضح أنّ الغَيبة كانت ضرورة لحفظ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف إلى أن يحين الوقت المناسب لظهوره.

أما المستشرق مراد ويلفريد هوفمان فقد استغرب من إصرار الشيعة على عودة الإمام الثاني عشر كي يصلح العالم بعد فساده[1]، وينكر ولادته من الأساس. وربما كان قليل الاطلاع على المدونة الحديثية بخصوص الإمام لدى الشيعة والسُّنة معًا، حيث تواتر خبره لدى الفريقين، أو أنه كان خاضعًا لمُسبقاته الدينية ومزاجه النفسي.

ويرى المستشرق إسرائيل فردلاندر أن غيبة الإمام و وُجود السفراء، شيء دخيل على التشيع ولا أصالة له، وأن أصوله نجدها في المسيحية لدى الطائفة الدوسيتية Docetic مثلا، التي تُؤمن بعودة المسيح، والديانة المانوية أيام الإمبراطورية الساسانية التي تؤمن بعودة ماني. فبالنسبة إليهما، نجا عيسى وماني من الصلب، وصُلب غيرهما[2].

لم يتحدث الشيعة عن صَلب المهدي أو قتله، بل عن اختفائه أثناء مداهمة العباسيين لبيت أبيه. كما أنهم لا يتحدثون عن رفعه إلى السماء كما يُقال عن ماني، أو كما ما حدث للمسيح. وهذا يعني أنّ غَيبة المهدي لا تُشبه رفع المسيح إلى السماء. وغَيبة الإمام هي غيبة لشخصيته، بحيث لم يعد أحد يستطيع التعرف عليه باستثناء الأشخاص الذين يختارهم هو. فهو يعيش مع الناس ويراهم ويحضر المواسم كما تُؤكد الروايات[3].

وإذا أصرّ المُستشرق إسرائيل فردلاندر على تشابه مسألة غَيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بما حدث للمسيح عليه السلام من "صَلْب ورفع" كما يعتقد، فعليه أن يوضّح لنا سبب تلك المصادفة الغريبة بين عقيدة صَلب المسيح ورفعه في المسيحية، وعقيدة صَلب ماني ورفعه التي نجدها في الديانة

1 - هوفمان، يوميات ألماني مسلم، ص89.

2 - Heterodoxies of the Shiites، pp 32- 29.

3 - في الخبر "عن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله(ع) يقول: «إنّ للقائم غيبتين يرجع في إحداهما وفي الأخرى لا يُدرى أين هو، يشهد المواسم، يرى الناس ولا يرونه»، النعماني، الغيبة، ج1، ص179.

المانوية، السّابقة تاريخيًّا للمسيحية. ولماذا يُصر على القول بوُجود التشابه بين غَيبة المهدي وظهوره ورفع المسيح وعودته، بينما يغضُّ الطرف عن التشابه الأكثر وضوحًا، والذي يصل إلى حدِّ التطابق بين المسيحية والمانوية في هذه العقيدة.

لم تكن غَيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مُفاجئة للشيعة، فقد تحدث عنها النبي والأئمة بكثرة. كما تحدثوا عن غيبتيه الصغرى والكبرى، وتحدّثوا عن ظهوره وانتصاراته. وقد تمّ إعداد الشيعة معرفيًّا ونفسيًّا لتقبل غيبة الإمام المهدي وتفهمها. وعندما غاب عليه السلام، جعل نُوابًا له حتى لا تكون هناك شكوكًا حول وجوده، ولا يكون غيابه التام مفاجئًا.

وقد نفى الشيخ المفيد وُجود أي انقسام داخل الإمامية بشأنه في ذلك الزمان، كما نفى رواية الأربعة فرق التي لا تُوجد لها أسماء[1]. ونقل ابن حزم الظاهري أنَّ الإمامية كلهم مُتّفقون على أنّ محمد بن الحسن المهدي حيٌّ لم يمُت، ولا يموت حتّى يظهر ويملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظلماً وجَوْراً، وهو عندهم المهدي المنتظر[2].

ومن الجانب السُّني روى البرزنجي عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام أنه قال: "لصاحب هذا الأمر – يعني المهدي عليه السلام – غيبتان، إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات وبعضهم ذهب. ولا يطّلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره"[3]. غير أنّ البرزنجي فسرّ الرواية على أن الغيبة الصغرى تقع في جبال مكة. وأهمل الحديث عن الغيبة الثانية.

وروى الشافعي السلمي في كتابه "عَقْد الدرر" عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «لصاحب هذا الأمر - يعني المهدي عليه السلام- غيبتان، إحداهما تطول حتّى يقول بعضهم "مات!"، وبعضهم "قُتِل!"، وبعضهم "ذَهَب!"، ولا يطّلع على موضعه أحدٌ من وليٍّ ولا غيره، إلاّ المولى الذي يلي أمرَه»[4].

أما سبب الاختفاء والغيبة فيرى المستشرق كونسلمان أنه الخوف، فقد خافت العائلة على

1 - المرتضى، الفصول المختارة، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ص321.
2 - ابن حزم الاندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج5، ص37.
3 - البرزنجي، الإشاعة لأشراط علم الساعة، ص187.
4 - السلمي الشافعي، عقد الدرر في اخبار المهدي المنتظر، ص134.

الإمام وقامت بإخفائه خوفًا عليه من مؤامرات عمِّه جعفر. وبعد ما حدث أمام تُجّار قُم، حيث أخبر الإمام بمبلغ المال، كان يُمكن لجعفر أن يخطط للقضاء عليه بالسُّم. وفي الواقع كان بيت الإمام العسكري عليه السلام في سامراء مبنيًّا فوق سراديب وأقبية متشعبة مَنَحَتْ الابن فرصة الاختفاء أثناء ملاحقة جنود بني العباس له. لكن من غير المعلوم ماذا حدث بعد ذلك[1]. ويبدو أنّ كونسلمان كان محقًّا في تحميل جعفر بن علي مسؤولية غيبة الإمام، لكن ذلك لا يجب أن يُبرئ الحاكم العباسي من جرائمه في ملاحقة الأئمة وآخرهم المهدي عجل الله فرجه الشريف. وقد أُثِر عن الإمام زين العابدين عليه السلام إخباره بحقيقة الأمر قبل وقوعه، حيث قال: «كأنيّ بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيّب في حفظ الله، والتوكيل بحرم أبيه جهلا منه بولادته، وحرصًا على قتله إنْ ظفر به، طمعًا في ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقّه»[2].

لقد عمِل الاستشراق المسيحي، كما فعل نظيره اليهودي، على تزييف حقيقة المهدي عليه السلام، وادّعى بعضه أنه "الدجال المنبوذ" في كل الأديان، فقال المستشرق الأمريكي المعاصر الذي يتبنى الصهيونية المسيحية، جويل ريتشاردسون، في كتابه "المسيح الدجّال الإسلامي حقائق صادمة" إذ ذكر: "أنّ المسلمين ينتظرون المسيح الدجّال لا ليرفضوه بل ليقبلوه"، وزعم أيضًا "أنّ المهدي يتشابه تمامًا مع المسيح الدجّال"[3]. ولأجل ذلك، يدّعي هذا المستشرق أن الدجال هو من ذرية النبي الخاتم صلى الله عليه وآله. وهذه مُفارقة. فقد كان النبي يحذّر من الدجال وفتنته، ويُبشر بالمهدي ويدعو إلى موالاته محددًا نسبه وصفاته وأخلاقه وعلمه والتزامه. وحدّد في المُقابل صفات الدجال الجسدية فقال إنه أعور[4]، كما حدّد صفات الإمام المهدي فقال إنه في غاية الحُسن[5]. وهذا مقياس محسوس يمكن التأكد من خلاله مِنْ هوية الدجال.

1 - كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ص116.

2 - الطبرسي، الاحتجاج، ج2، ص49.

3 -Joel Richardson, The Islamic Antichrist, Pages 80, 94 & 187.

4 - في صحيحي البخاري ومسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية». حديث رقم: 7407 . وعن عبادة بن الصامت أنه صلى الله عليه وآله قال: «إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، ذلك أن المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتية ولا جحراء، فإن أُلبس عليكم، فاعلموا أن ربّكم ليس بأعور». المجلسي، بحار الأنوار، ج88، ص92.

5 - أبو داود، السنن، ح: 4285؛ والحاكم، المستدرك، ح: 8670.

لا تعكس كتابات المستشرقين مواقف علمية من الإسلام عمومًا والشيعة بشكل خاص. وهم يصدرون عن خلفيات اعتقادية وفكرية ومهنية متنوعة. فهناك العسكري والمُخابراتي والأكاديمي والباحث ورجل الدين..إلخ، وكانت نظرتهم للشرق تنقسم إلى موقفين، الأول: أَقلِّي يُبدي احترامًا له. والثاني: أكثري يعكس حالة من الاستعلاء. والموقف الاستعلائي يُحيل إلى شعور بالقوة والتفوق مُقابل الضّعف والتخلف الذي تردّى فيه العالم الشرقي. وغالبًا ما يستخدم الاستشراق أداة لتكريس ذلك التفوق من خلال دارسة نقاط القوة والضعف في الثقافة الشرقية من أجل تأبيد الهيمنة والاستتباع.

لا شك أنّ الاستشراق يعكس توقًا غربيًّا لمعرفة الآخر من أجل الإحاطة بسلبياته وإيجابياته ودراستها واستخدامها في التعامل معه. وكانت نتيجة ذلك التّوق، جمع الكثير من المخطوطات العربية وتنظيمها وترتيبها وحفظها في المكتبات الغربية. لكن هذا الجانب الإيجابي لا علاقة له بالموضوعية العِلمية، بقدر ما له علاقة بالبحث الغربي عن اكتساب أسباب القوة.

ردّ العرب على مقولات الاستشراق بطريقتين تختلفان باختلاف خلفياتهم الفكرية والإيديولوجية والمذهبية. الأولى كانت مرحّبة، وقادها "الحداثيون" الوضعيون الذين يتبنّون الأنساق الفكرية الغربية، ولا توجد لديهم سوى مناقشات جزئية من أجل تغليب رأي هذا المستشرق على ذاك. والثانية رافضة تبناها "الإسلاميون" وجاءت ردودهم من زوايا مختلفة علمية ومذهبية وإيديولوجية.

وقد تحدث بعض "الحداثيين" عن ضرورة إنشاء علم للاستغراب في مُقابل الاستشراق، من أجل دراسة الثقافة الغربية بطريقة نقدية كما فعل د. حسن حنفي في كتابه "مقدمة في علم الاستغراب". لكن نقد الاستشراق يصعب أن يُنجزه باحث يتبنّى مقولات الفكر الغربي الذي يحكم توجهات المستشرقين، ويصف نفسه بالوضعي ويتبنّى الأفكار المادية الغربية، ويُحاول إحلالها داخل المنظومة الإسلامية من خلال الادعاء بأن مفاهيم القرآن ومقولاته كما هو الله والوحي والنبوة والمهدوية والجنة والنار وغيرها، مُجرد رموز وإشارات ومجازات وليست حقائق[1].

1 - التراث والتجديد، ص 40 و61.

ومن المُفارقات أن يُبدي المستشرقون احترامًا كبيرًا لفكرة المهدي أو المخلص في عقيدتهم سواء كانت يهودية أو مسيحية، بينما ينكرون ذلك بخصوص عقيدة المهدوية في الإسلام. فهم ينفون عن غيرهم ما يعتقدون هُمْ به. وهذا يعني أنّ مواقفهم كانت محكومة بمعتقداتهم الدينية الخاصة. كما يعني أيضًا أنهم أنكروا المهدي تمسكا بمعتقداتهم حول الخلاص، وأنّ المَشيخ عند اليهود أو المسيح عند المسيحيين هو المُخلص.

2 - الأطروحة المهدوية في القرآن

لا يصمد إنكار المستشرقين للأطروحة المهدوية، وأصالتها داخل الإسلام أمام معطيات التاريخ ومنطوق الروايات المتواترة. ونحن لا نجد نصوص المهدوية في مُتون الحديث فحسب، بل إنّ القرآن لا يخلو منها. والاختلاف بين الاثنين هو أن ما نجده في المصحف تحدث عنها على نحو المفهوم وجاء شرح الأمر وتفصيله في حديث النبي والأئمة (صلوات الله عليهم). أكّد القرآن في كثير من الآيات على انتصار الدين الإلهي في النهاية وظهور الإمام الذي يُحرك في تلك الاطروحة في الواقع، ويُطبق أنظمتها للانتقال بالناس من واقع بائس ومرير إلى واقع مختلف تمامًا.

ولا تختص المُدونة الشيعية بإيراد النصوص التي تفسر الآيات التي تُبشر بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، بل يشمل ذلك المدونة السُّنية، وبشكل خاص موسوعات التفسير. ويمكن التوقف عند عدة آيات فُسّرت بالإمام المهدي عليه السلام.

أ- الإمام المهدي في التّفاسير السُّنية

★ **أولا:** قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾[التوبة:33]، [الفتح:28]، [الصف:9].

وقد تكرّرت هذه الآية في ثلاثة سور، ربما من أجل التأكيد على حتمية ظهور الإسلام على غيره من الأديان، وقد فسّرها علماء أهل السّنة بأنها تُشير إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

قال الأندلسي في "البحر المحيط" والرازي في مفاتيح الغيب" والخطيب الشربيني في "السراج المنير" وابن عادل في تفسيره "اللباب في علوم الكتاب": "قال السدي: ذلك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام، وأدّى الخراج"[1]. وقال النيسابوري في تفسيره "غرائب القرآن": "وتمام هذا، إنّما يظهر عند خروج المهدي ونزول عيسى"[2].

أما القرطبي فقال في تفسيره: قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ..**﴾ يريد محمدًا (صلى الله عليه وسلم) بالهدى أي بالفرقان ودين الحق ليظهره على الدين كلّه أي بالحُجة والبراهين.. ليظهر الدين، دين الإسلام على كُل دين، قال أبو هريرة والضحاك: هذا عند نزول عيسى عليه السلام، وقال السّدي: ذاك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام، أو أدى الجزية، وقيل: المهدي هو عيسى فقط، وهو غير صحيح، لأنّ الأخبار الصّحاح قد تواترت على أن المهدي من عترة رسول الله ﷺ، فلا يجوز حمله على عيسى"[3].

ونقل الطبري رواية عن أبي هريرة في تفسير هذه الآية ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾، قال: »حين خروج عيسى بن مريم«[4]. وقد اتّفق السُّنة والشيعة على أن عودة المسيح لا تكون إلا عند ظهور الإمام المهدي(عليه السلام)، فالبخاري يروي "عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أنَّ أبا هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟»[5]. وابن حجر يقول في "فتح الباري": "وكلّهم - أي المسلمين- ببيت المقدس، وإمامهم رجلٌ صالحٌ قد تقدّم ليصلّي بهم، إذ نزل عيسى، فرجع الإمام ينكص ليتقدّم عيسى، فيقف عيسى بين كتفيه، ثمَّ يقول: تقدّم، فإنّها لك أُقيمت. وقال أبو الحسن الخسعي الأبدي في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأنَّ المهدي من

1 - نظـر: ابن الأثير، البحر المحيط في التفسـير، ج5، ص406، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسـير الكبير، ج16، ص33، الخطيـب الشربينـي، السراج المنـير في الإعانة على معرفـة بعض معاني كلام ربنا الحكيـم الخبير، ج1، ص606، ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج10، ص77.

2 - النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج3، ص458.

3 - القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص121.

4 - الطبري، تفسير الطبري، ج10، ص150.

5 - صحيح البخاري، ح: 3449، وصحيح مسلم، ح: 155.

هذه الأمة، وأن عيسى يصلّي خلفه"[1].

وإذا كان القرآن والعترة متلازمين لا يفترقان كما في حديث الثقلين وغيره، فإن ذلك يعني أنّ لكل زمان إمامُه الذي ينطق عن القرآن ويُبين أحكامه. وهذا يثبت أنّ الإمام بعد العسكري عليه السلام، هو المهدي، فهو الإمام الثاني عشر، كما تؤكد رواية البخاري ومسلم بخصوص عدد خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وأنهم اثنا عشر.

ففي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرّقا حتّى يَردا عليّ الحوض»[2].

وهو حديث مشهور ومُتواتر يكشف ضرورة وُجود إمام من عترة النبي لا يفارق القرآن، كما أكد علماء من أهل السنّة مثل المناوي الشافعي في "فيض القدير" عند شرح حديث الثقلين، قال: "قال الشريف -الحافظ السمهودي-: هذا الخبر يُفهِم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كلّ زمن إلى قيام الساعة، حتّى يتوجه الحثّ المذكور إلى التمسك به، كما أنَّ الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أمانًا لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض"[3].

وهذا كله يُؤكد ما رُوي عن النبي والأئمة من آل بيته (صلوات الله عليهم) حول غيبة الإمام المهدي عليه السلام. وهو ما ينسجم مع قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[الرعد: 7]. وقد أشار إلى ذلك صراحة الحافظ القندوزي الحنفي في كتابه "ينابيع المودّة" في رواية عن ابن عباس أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ عليًّا وصيّي، ومن ولده القائم المنتظر المهديّ الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت جَوْرًا وظلمًا، والذي بعثني بالحقّ بشيرًا ونذيرًا، إنَّ الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعزُّ من الكبريت الأحمر، فقام إليه جابر بن عبد الله، فقال: يا رسول الله، وللقائم من ولدك غَيبة؟ قال: إيْ وربيّ، ليمحّص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين»[4].

1 - ابن حجر، فتح الباري، ج6، ص358.
2 - الألباني، صحيح الجامع الصغير، ج1، ص482، ح 3788، ومسند أحمد بن حنبل، ح21654.
3 - المناوي، فيض القدير، ج3، ص15.
4 - القندوزي، ينابيع المودّة، ج3، ص297.

✶ **ثانيًا**، قوله تعالى: ﴿**وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ**﴾[التوبة:32].

قال الثعلبي في تفسيره: ﴿**وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ**﴾، أي يُعلي دينه، ويُظهر كلمته، ويتمّ الحق الذي بعث به رسوله ولو كره الكافرون ﴿**لِيُظْهِرَهُ**﴾ ليعليه، وينصره، ويظفره ﴿**عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ على سائر المِلل كلّها ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾. قال السدّي: وذلك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام، أو أدّى الخراج"[1].

✶ **ثالثًا**، قوله تعالى: ﴿**لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[البقرة:114].

قال الطبري في تفسيره: "حدثنا موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدّي قوله: ﴿**لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**﴾، أما خزيهم في الدنيا، فإنهم إذا قام المهدي، وفتحت القسطنطينية قتلهم. فذلك الخزي"[2]. وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: "حدثنا أبو زرعة، ثنا عمرو بن حماد بن طلحة، ثنا أسباط، عن السدي: أما خزيهم في الدنيا فإنه إذا قام المهدي فتح القسطنطينية، وقتلهم، فذلك الخِزي، وروي عن عكرمة، ووائل بن داود نحو ذلك"[3].

وقال ابن كثير في تفسيره: "وفُسّر الخِزي من الدنيا بخروج المهدي عند السدّي، وعكرمة، ووائل بن داود"[4]. وقال القرطبي في تفسيره: ﴿**لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**﴾، عن قتادة السدي: الخزي لهم في الدنيا قيام المهدي وفتح عمورية ورمية وقسطنطينية، وغير ذلك من مدنهم على ما ذكرناه في كتاب التذكرة"[5].

✶ **رابعًا**، قوله تعالى: ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[السجدة:21].

1 - الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج5، ص36.
2 - تفسير الطبري، ج 1 ص 545.
3 - ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص211.
4 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص271.
5 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص79.

قال ابن عبد السلام في تفسيره: ﴿**الْعَذَابِ الأَدْنى**﴾ مصائب الدنيا في النفس والمال، أو القتل بالسيف، أو الحدود، أو القحط والجدب، أو عذاب القبر، قاله البراء بن عازب ومجاهد، أو عذاب الدنيا، أو غلاء السعر. ﴿**الْعَذَابِ الأَكْبَرِ**﴾ جهنم، أو خُروج المهدي بالسيف"[1]. وفي تفسير "البحر المحيط": "عن جعفر بن محمد: أنه خروج المهدي بالسّيف"[2].

✷ **خامسًا**، قوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[الأنفال:39].

قال الآلوسي في تفسيره: ﴿**وَيَكُونَ الدّينُ كُلُّهُ لِلهِ**﴾ وتضمحل الأديان الباطلة كلها إما بهلاك أهلها جميعاً أو برجوعهم عنها خشية القتل، قيل: لم يجئ تأويل هذه الآية بعد، وسيتحقق مضمونها إذا ظهر المهدي، فإنه لا يبقى على ظهر الأرض مُشرك أصلاً"[3].

ب- الامام المهدي عليه السلام في التّفاسير الشيعية

نجد في التفاسير الشيعية تركيزاً أكبر بكثير من التفاسير السُّنية على شخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وهناك كمٌّ كبير من الآيات المفسرة في الإمام. فقد اهتم النبي وأئمة أهل البيت عليهم السلام بالأطروحة المهدوية، وتحدّثوا في كل التفاصيل المتعلقة بها، كما فسّروا الآيات المُؤولة فيها بسبب أهميتها الفائقة. وهذا لا يعني أن المهدوية فكرة شيعية نبتت بسبب أوضاع سياسية واجتماعية معينة عانى منها الشيعة كما يدعي بعض المستشرقين، بل يعني أنّ الشيعة هم من اهتم بحفظ هذا التراث النبوي أكثر من غيرهم. فقد كانوا مرتبطين بأئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين يُمثلون الثقل الثاني، الذي أوصى النبي صلى الله عليه وآله بالتّمسك به، بينما تمسّك غيرهم بأشخاص لم يُوصِ النبي بالتمسك بهم ولا بأقوالهم، وربما أوصى بعكس ذلك.

ليست المهدوية مجرد مسألة فرعية تخصّ الجوانب العملية، كالصلاة والصيام، بل هي عقيدة

1 - العز بن عبد السلام، تفسير القرآن الكريم، ج2، ص553.
2 - أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج8، ص439.
3 - الآلوسي، روح المعاني، ج5، ص194.

متفرعة عن أصل الإمامة. فكما يؤمن الشيعة بالنبي في نبوته، وبأحد عشر إماما في إمامتهم، يؤمنون أيضا بالمهدي في ولادته وغيبته، وظهوره في آخر الزمان، وإمامته لكل المسلمين. والولاية له هي الجانب العملي من هذه العقيدة. أي إنّ الولاية هي التعبير العملي عن الاعتقاد بالإمامة والمهدوية. ومن تلك الآيات:

✶ **أوّلا:** قوله -تعالى-: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[الأنبياء:5].

قال الطبرسي في تفسير الآية: ﴿**أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: «هُم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان». ويدل على ذلك ما رواه الخاص والعام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً صالحاً من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما قد ملئت ظلماً وجَوْراً»[1].

✶ **ثانيًا:** قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[التوبة:33].

روى الصدوق: عن أبي بصير قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾، فقال: والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم عليه السلام، لم يبْق كافر بالله العظيم، ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه، حتى لو كان هناك كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت: يا مُؤمن في بطني كافر فاكْسرني واقْتله»[2].

✶ **ثالثًا:** قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ**

1 - الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج7، ص120.

2 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ح: 16، ص670، وتفسير فرات الكوفي، ح3، ص. ص.481-482 .

بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[النور: 55].

روى فرات الكوفي: عن السدّي، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله -تعالى-: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾[النور:55] إلى آخر الآية، قال: نزلت في آل محمد ﷺ[1].

★ **رابعًا**، قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[النساء:59].

روى ابن بابويه «عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله عزّ وجل على نبيّه محمد ﷺ: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾، قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أُولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: هُم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي، أوّلهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، ستدركه يا جابر فاذا لقيته فاقْرِئْه منِّي السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن عليّ، ثم سَميّي وكُنيّي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي. ذاك الذي يفتح الله - تعالى ذكره- مشارق الأرض ومغاربها على يديه، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غَيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امْتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت يا رسول الله، فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال عليه السلام: أي والذي بعثني بالنبوة، إنّهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإنْ تجلّلها سحاب، يا جابر، هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علمه فاكتمه إلا من أهله».[2]

1 - تفسير فرات الكوفي، ص. ص. 288 - 289، الحديثان: 3 و6.

2 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، باب نص الله تبارك وتعالى على القائم عليه السلام، ج1، ح3، ص281.

خامسًا: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾[النساء: 159].

روى علي بن إبراهيم بسنده عن شهر بن حوشب قال لي الحجاج: يا شهر، آية في كتاب الله قد أعيتني، فقلت: أيها الأمير أيّة آيةٍ هي؟ فقال: قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[النساء:152]، والله إني لآمر باليهودي والنصراني فيُضرب عنقه، ثُم أرمقه بعيني فما أراه يُحرك شفتيه حتى يخمد فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما أوّلت، قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا غيره الاّ آمن به قبل موته، ويصلّي خَلْف المهدي. قال: ويحك.. أنى لك هذا ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام. فقال: جِئْتَ بها والله من عين صافية"[1].

خاتمة

لا تخلو رسالة نبوية من فكرة المهدوية، كما تؤكد الروايات الإسلامية. فهي أصل مشترك بين جميع الرسالات التوحيدية. وبحسب تلك النصوص، فإن أوّلُ من بشّر بالقائم المهدي في آخر الزمان هو آدم بعد أن تلقى من ربِّه كلمات، فدعا بها وقُبلت توبته.

وعليه، فأطروحة المهدوية ليست أسطورة شيعية، كما ادّعى المستشرقون، بعدما تبين أنهم لا يختصُّون بها، بل يُشاركهم فيها أهل السُّنة الذين تعجُّ مُدوّناتهم في الحديث والتفسير بها. صحيح أنّ الشيعة يُؤكّدون عليها أكثر من غيرهم، ويعتبرونها امتدادًا لمفهوم الإمامة، كما يُبدون وضوحًا بخصوص هويّة صاحبها وحيثيات ولادته وغَيبته. لكن هذا شيء يُحسب لهم، فالمهدي عجل الله فرجه الشريف يجب أن يكون شخصًا مُحدّدًا في نسبه وصفاته وخصائصه، حتى يعرف الناس حقيقته ولا ينجرُّون وراء المُدعين للمهدوية الذين ظهروا عبر التاريخ. ولم تكُن المهدوية مجرد تنظير، بل كانت حقيقة مُشخصة في رجلٍ رآه كثيرون ونقلوا أحاديثه ومواقفه. وهو يختلف عن مُخلِّصي

1 - القمي، تفسير القمي، ج1، ص158.

الديانات الأخرى(المزعومين)، سواء في ذاته أو صفاته.

باختصار: تمُثل المهدوية عقيدة قرآنية وإسلامية خالصة، وقد تجسّدت في شخص الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام. وهي عقيدة قائمة على أسس دينية وعلمية لا شكّ فيها. ومن خلالها وعد الله المؤمنين بالنصر والغلبة وظهور الدين(الإسلام) في آخر الزمان، أما ما ادّعاه المُستشرقون بكلِّ اتجاهاتهم، من تشكيكات وتحليلات ومواقف، فهو بعيد كلَّ البُعد عن الحقائق الدينية والتاريخية والعلمية، بل تبيّن تهافت الأطروحات الاستشراقية في موقفهم من العقيدة المهدوية وأصالتها الإسلامية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، المُصنّف، تحقيق محمد عوامة، دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ط1-2006م.
- ابن الأثير الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، بيروت: دار الفكر، د. ت.
- ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت: دار الجيل، ط-2 1996م.
- ابن حماد، نعيم، الفتن، القاهرة: مكتبة التوحيد، ط1 - 1991.
- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت.
- ابن عادل، عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.
- ابن عبد السلام، العز، بيروت: دار ابن حزم، د. ت.
- النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الآلوسي، تفسير رُوح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت: د. ت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ط1 - 1422هـ.
- البرزنجي، محمد بن رسول، الإشاعة لأشراط علم الساعة، بيروت: دار المنهاج، ط3 - 2005م.
- الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- حسين، محمد الخضر، موسوعة الأعمال الكاملة للشيخ محمد الخضر حسين، منشور على

المكتبة الشاملة الإلكترونية.

- حنفي، حسن، التراث والتجديد، بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر، ط5 - 2002م.
- حنفي، حسن، مقدمة في علم الاستغراب، القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، ط- 1991م.
- الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، المطبعة العلمية، قم- إيران، ط 2 - 1383هـ.
- دونالدسن، دوايت، عقيدة الشيعة، القاهرة: ط1 - 1946م.
- الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة: دار المعارف، دون تاريخ الطبعة.
- السلمي الشافعي، عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر، الزرقاء- الأردن: مكتبة المنار: 1410هـ- 1989م.
- الشربيني، الخطيب، السّراج المُنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير، القاهرة: مطبعة بولاق(الأميرية)، د. ت.
- الصدوق، ابن بابويه، إكمال الدين وتمام النعمة، قم-إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ط- 1405هـ.
- الصدوق، ابن بابويه، الخصال، قم- إيران، منشورات جماعة المدرسين، ط1403-هـ.
- الطبرسي، الاحتجاج، النجف الأشرف- العراق: مطابع النعمان، ط- 1966م.
- الطوسي، الغيبة، قم- إيران: مؤسسة المعارف الاسلامية، ط1 - 1411 هـ. ق.
- علي، جواد، المهدي المنتظر عند الشيعة الاثنا عشرية، بيروت: منشورات الجمل، ترجمة، أبو العيد دودو، ط-2 2007م.
- الغرناطي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، بيروت: دار الفكر، د. ت.
- غولدتسيهر، إغناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف وآخرون، القاهرة: دار الكاتب المصري، ط1 - 1946م.

- فلوتن، ج. فان، السيادة العربيّة والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، القاهرة: مطبعة السعادة، ط1 - 1934م.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية، د. ت.
- القندوزي الحنفي، سليمان بن خوجة، ينابيع المودة، بيروت: مؤسسة الأعلمي، د. ت.
- الكليني، الكافي، طهران: دار الكتب الإسلامية، 1388 هـ. ق.
- الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، طهران-إيران، ط- 1990م.
- كونسلمان، غارهارد، سطوع نجم الشيعة، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط- 2004م.
- لويس، برنارد، العرب في التاريخ، تعريب: نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، بيروت: دار العلم للملايين، ط1 - 1954.
- الماجدي، خزعل، الحضارة الهندية، بيروت: الرافدين للنشر والتوزيع، ط- 2019م.
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط- 1983م.
- المرتضى، الفصول المختارة، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد- قم- إيران: مؤسسة الإمام الصادق، ط- 1413هـ.
- النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، بيروت: منشورات الرضا، ط1 - 2012م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط- 1412هـ- 1991م.
- هالم، هاينس، الشيعة، ترجمة محمد كبيبو، بيروت: الورق للنشر، ط- 2011م.
- هوفمان، مراد، الإسلام كبديل، ترجمة غريب محمد غريب، الكويت: مجلة النور، ط1 - 1993م.

- James Darmesteter, The Mahdi Past and Present, 1st Edition, 1885, NY- USA.
- New Catholic Encyclopedia, Second Edition, 2002, USA, Volume 9.